عجائب خلق السموات والأرض

تأليف وتحقيق الشيخ
بكر محمد إبراهيم (أبو هيثم)
واعظ ورئيس أنصار السنة - فرع السلام

المكتبة المحمودية
ميدان الأزهر الشريف
تليفون : ٥١٠٣٠٦٧

رقم الإيداع

٩٩ / ٩٥٧٩ ٩٩



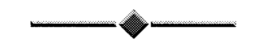
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

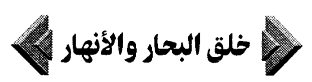
أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله .

وبعــد

فهذا الكتاب يحوى عجائب خلق البحار والأنهار وأخبار البحر المسجور وما فى السماء من آيات من شمس وقمر ونجوم وأفلاك والعلاقة بين الشمس والقمر وسجود الشمس تحت العرش وسجود السموات والأرض والشجر والجبال والدواب وكثير من الناس لله رب العالمين . وكل هذه الأخبار مدعمة بالأدلة القاطعة من القرآن والسنة ، فهو كتاب يحمل أخباراً عجيبة وطرائف غريبة ويبين بعض مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى فى خلق السموات والأرض . فلتقرأ أخى الكريم هذا الكتاب بتدبر وتذوق تكون الفائدة منه مرجوه إن شاء الله والله من وراء القصد ولله الحمد .

المؤلف





قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) ﴾ (النحل : ١٤– ١٨) وتميد أى تميل .

وقال تعالي : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾ (فاطر : ١٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (٥٣) ﴾ (الفرقان : ٥٣) .

البداية والنهاية لابن كثير ج١ .

وقال تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١٩ - ٢٠ الرحمن) . فالمراد بالبحرين البحر المالح المر وهو الأُجاج ، والبحر العذب هو هذه الأنهار السارحة بين أقطار الأمصار لمصالح العباد قاله ابن جريج وغير واحد من الأئمة . وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الشورى - ٣٢ - ٣٤) ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (لقمان - ٣١ - ٣٢) وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الحج : ٦٥) فامتن تعالى على عبادة بما خلق لهم من البحار

والأنهار فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض وما ينبت فيه فى جوانبها الجميع مالح الطعم مر ، وفى هذا حكمة عظيمة لصحة الهواء ، إذ لو كان حلواً لا نتن الجو وفسد الهواء بسبب ما يموت فيه من الحيوانات فكان يؤدى إلى تفانى بنى آدم ولكن اقتضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة لهذه المصلحة ولهذا لما سُئل رسول الله (ﷺ) عن البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته . وأما الأنهار فماؤها حلو عذب فرات سائغ شرابها لمن أراد ذلك . وجعلها جارية سارحة ينبعها تعالى فى أرض ويسوقها إلى أخرى رزقاً للعباد . ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة .

وقد تكلم أصحاب علم الهيئة والتفسير على تعداد البحار والأنهار الكبار وأصول منابعها وإلى أين ينتهى سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخلاق تعالى ، وأنه فاعل بالاختيار والحكمة – وقوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ ﴾ (الطور : ٦) فيه قولان أحدهما أن المراد به البحر الذى تحت العرش المذكور في حديث الأوعال وأنه فوق السموات السبع بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء ، وهو الذي ينزل منه المطر قبل البعث فتحيا منه الاجساد من قبورها وهذا القول هو أختيار الربيع بن أنس ، والثاني أن البحر اسم جنس يعم سائر البحار التي في الأرض وهو قول الجمهور .

واختلفوا فى معنى المسجور فقيل المملوء وقيل يصير يوم ناراً تؤجج فيحيط بأهل الموقف ، وقيل المراد به الممنوع المكفوف المحروس عن أن يطغى فيغمر الأرض ومن عليها فيغرقوا . رواه الوالبى عن ابن عباس وهو قول السدى وغيره ويؤيده الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثنى شيخ

كان مـرابطاً بالسـاحل قـال : « لقيت أبا صـالح مـولى عمـر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول اللـه ﷺ قـال : " ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يتأذن الله عز وجل أن يتفصح (أى يطغى ويغرق الأرض ومن عليها) عليهم فـيكفـه الله عـز وجل ، ورواه إسـحـاق بن راهـويه عن يزيد عن هارون عن العوام بن حوشب : حدثنى شيخ مرابط قال : خرجت ليلة - لمحرس لم يخرج أحد من المحرس غيرى فـأتيت الميناء فـصـعـدت فـجـعل يخيل إلى أن البـحـر يشـرف يحـاذى برؤوس الجـبـال فـعل ذلك مـراراً وأنا مـسـتيـقظ فلقيت أبا صـالح فـقـال حدثنا ثلاث مرات يستأذن الله أن يتفصح عليهم فيكفه الله عز وجل فى إسناده رجل مبهم والله أعلم .

وهذا من نعمة الله تعالى على عباده أن كف شر البحر عن أن يطغى عليـهم وسـخـره لهم يحمل مراكبهم ليبلغوا عليـهـا الأقـاليم النائية بالتجـارات وغـيرها وهداهم فـيـه بما خلقـه فى السـمـاء والأرض والنجـوم والجـبـال التي جـعلـهـا لهم عـلامـات يهتدون بها فى سيرهم وبما خلق لهم فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة العزيزة الحسنة الثمينة التي لا توجد إلا فيه وبما خلق

فيه من الدواب الغريبة وأحلها لهم حتى ميتتها كما قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (المائدة : ٩٦) وقال النبى ﷺ : " أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال " رواه أحمد وابن ماجة وفى إسناده نظر قال علماء الهيئة : الأرض مغمورة بالماء العظيم إلا مقدار الربع منها والعناية الإلهية اقتضت إنحسار الماء عن هذا القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنبت الزرع والثمار منها كما قال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الرحمن ١٠ - ١٣) قالوا المعمور من هذا البادى منها قريب الثلثين منه أو أكثر قليلا . وهو خمس وتسعون درجة .

روى الإمام مسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة " .

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن غير ويزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم ، وكأن المراد والله أعلم من هذا أن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة فى صفاتها وعذوبتها وجريانها ومن جنس تلك الصفات ونحوها كما قال فى الحديث الآخر الذى رواه الترمذى وصححه من طريق سعيد بن عامر بن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " العجوة [١] من الجنة وفيها شفاء من السم " أى تشبه ثمر الجنة لا أنها مجتناة من الجنة ، فإن الحس يشهد

(١) العجوة – التمر .

بخلاف ذلك فتعين أن المراد غيره وكذا قوله ﷺ : " الحُمَّى من فيح جهنم فأبردوها بالماء ، وكذا قوله : " إذا أشتد الحمى فأبردوها بالماء فإن الحر من فيح جهنم وهكذا أصل الأنهار منبعها مشاهد من الأرض .





نهر النيل

أما النيل . وهو النهر الذى ليس فى أنهار الدنيا له نظير فى خفته ولطافته وبعد مسراه فيما بين مبتدأه إلى منتهاه من الجبال القُمر (أى البيض) ومنهم من يقول جبال القمر بالإضافة إلى الكوكب وهى فى غربى الأرض وراء خط الإستواء إلى الجانب الجنوبى . ويقال أنها حمر ينبع من بينها عيون ثم يجتمع من عشر مسيلات متباعدة ، ثم يجتمع كل خمسة منها فى بحر ، ثم يخرج منها أنهار ستة ثم يجتمع كلها فى بحيرة أخري ، ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بلاد السودان الحبشة ثم على النوبة ومدينتها العظمي ومقلة ثم أسوان ثم يفد على ديار مصر ، وقد تحمل إليها من بلاد الحبشة زيادات أمطارها ويجترف من ترابها وهى محتاجة إليها معاً لأن مطرها قليل وتربتها رمال لا تنبت شيئاً حتى يجىء النيل بزيادته وطينه فينبت فيه ما يحتاجون إليه وهى من أحق الأراضى بدخولها فى قوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ

أَفَلا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (السجدة : ٢٧) يجاوز النيل مصر قليلاً فيقترن شطرين عن قرية علي شاطئه يقال لها شطنوف فيمر الغربى على رشيد ويصب فى البحر المالح . وأما الشرقى فيفترق عند جوجر فرقتين تمر الغربية منها على دمياط يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دمياط وهذا بعد عظيم فيما بين مبتداه ومنتهاه (طول الحوض) . ولهذا كان الطف المياه قال ابن سينا له خصوصيات دون سائر الأرض . فمنها إنه أبعدها مسافة من مجراه إلى أقصاه ومنها أنه يجرى على صخور ورمال ليس فيه خزر ولا طحالب ولا أوحال ومنها إنه لا يخضر فيه حجر ولا حصاه وما ذاك إلا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته . ومنها إن زيارته فى أيام نقصان سائر الأنهار . ونقصانه فى أيام زيادتها وكثرتها قلت والمعروف أن النيل ينبع من هضبة الحبشة .

وقد قال عبدالله بن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال : لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل شهر بؤنه من أشهر العجم (القبطية) فقالوا : « أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها فقال لهم وما ذاك قالوا : إذا كان اثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر

بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم القيناها فى هذا النيل ، فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون فى الإسلام وإن الإسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنه والنيل لا يجربى لا قليلاً ولا كثيراً . وفى رواية فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى وهو لا يجرى حتى هموا بالجلاء . فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر إنك قد أصبت بالذى فعلت وإنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابى هذا فألقها فى النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : «من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر (أما بعد) فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريك ، فألقى عمرو البطاقة فى النيل فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة وقطع الله تلك السُنة (الطريقة) عن أهل مصر إلى اليوم .

الشــرح : (للمحقق)

مما سبق يتضح لنا فضل الله تعالى ونعمه علينا فى خلق البحار والأنهار ولاسيما نهر النيل الذي يسميه أهل هذا العصر

شريان الحياة فى مصر ومن العبارات التي تسرى مسرى المثل أن مصر هبة النيل ثم قال آخرون إن مصر هبة المصريين لأنهم أقاموا السدود والقناطر وشقوا الترع والمصارف وبنوا الجسور على النيل أقول إن الفضل كله لله وأنه تعالى تفضل وأنعم على شعب مصر بل وعلى شعوب أخري يبلغ عددها تسعة شعوب بهذا النهر .

وحديث عمرو بن العاص وبطاقة عمر بن الخطاب حديث ضعيف لأن ابن لهيعة ضعيف كما أخبر بذلك علماء والجرح والتعديل . وقد كان قاضيا : والحديث الضعيف لا يقطع بصحة نسبته إلى الرسول ﷺ أى أنه مخالف لشروط الصحة المتفق عليها عند علماء الحديث وإذا عرف تعريف الحديث الصحيح عرف تعريف الحديث الضعيف .

تعريف الحديث الصحيح

هو الحديث الذي رواه الثقات العدول الضابطون عن مثلهم عن مثلهم إلى رسول الله ﷺ من غير شذوذ ولا علة قادمة .

وقد كان الفراعنة المصريون يقدسون النيل ويتخذونه إلهاً معبوداً وكانوا يحافظون علي نظافته وعدم تلوثه وقد جاء فى

بردياتهم أن خير ما كان يدافع الميت منهم عن نفسه وقت الحساب أن يقول : إنا لم ألوث النهر . وإن كانت قصة عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب مع نهر النيل قد وقعت فعلاً فيكون المعنى أن توقف سريان النيل كان فتنة لأهل مصر وأن جريانه بعد القاء بطاقة عمر بن الخطاب فيه يكون كرامة لعمر بن الخطاب ونعمة على أهل مصر لأن فحوى هذه البطاقة يحمل عقيدة التوحيد والثقة المطلقة فى الله سبحانه وتعالي ونسبة القدرة والفضل إليه سبحانه وتعالى .

ولى ملاحظتان هامتان وخطيرتان تتعلق بنهر النيل الذي يجرى كما قلنا فى تسع بلاد تعيش شعوبها على مائه وبجوار حوضه .

الملاحظة الأولي :

إنه وبعد أربعة عشر قرناً من بعثة النبى (ﷺ) يعود المصريون إلى عادة شركية وثنية هي الاحتفال بوفاء النيل بإلقاء عروس من الجبس فى النيل وهي بديل عن إلقاء فتاة حية كما كان يفعل الوثنيون القدماء من أهل مصر .. فأهيب بالمصريين

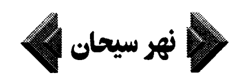
شعباً وحكومة أن يبطلوا هذه العادة وهذا الاحتفال والتقليد الوثنى .

الملاحظة الثانية :

إننا الآن نهين نهر النيل ونلوثه ونلقى فيه القاذورات والحيوانات النافقة ومخلفات المصانع ومياه الصرف الصحى فنضر بصحتنا وصحة أبنائنا ولذلك أهيب بالجميع أن يحافظوا على نقاء مياه النيل ويضربوا بيد من حديد على من يلوث مياه النهر ويساهم فى تلوث البيئة . أ. هـ من قولنا (المحقق) .

وأما الفــرات

فأصلها من شمالى أرض الروم فتمر إلى قرب ملطية ثم تمر على شميشاط ثم إلى البيرة قبليها ثم تشرق إلى مالس وقلعة جبر ثم الرقة ثم إلى الرحبة شماليها ثم إلى عانة ثم إلى هبت ثم الكوفة ثم تخرج إلى فضاء العراق ويصب فى بطائح كبار أى بحيرات وترد إليها ويخرج منها أنهار كبار .

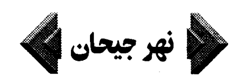


وأما سيحان

ويقال له سيحون فأوله من بلاد الروم [(١)] ويجري من الشمال والغرب إلى الجنوب والشرق وهو غربى مجرى جيحان ودونه فى القدر وهو ببلاد الأرض التي تعرف ببلاد سيس وقد كانت فى أول الدولة الإسلامية فى أيدى المسلمين ، فلما تغلب الفاطميون على الديار المصرية وملكوا الشام وأعمالها عجزوا عن صونها عن الأعداء فتغلب نقفور الأرمنى على هذه البلاد حول الثلاثمائة ثم يجتمع سيحان وجيحان عند إذنه فيصيران نهراً واحداً . ثم يصبان فى بحر الروم [(٢)] بين أياس وطرسوس .

---

(١) بلاد الروم يقصد بها تركيا أو إيطاليا .
(٢) بحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط .



أما نهر جيحان

ويقال له جيحون أيضا وتسميه العامة جاهان ، وأصله فى بلاد الروم ويسير فى بلاد سيس من الشمال إلى الجنوب وهو يقارب الفرات فى القدر . ثم يجتمع عند إذنه فيصيران نهراً واحداً . ثم يصبان فى البحر عند أياس وطرسوس .

قال تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) ﴾(النازعات : ٢٧ - ٣٠) وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) ﴾ (الملك : ١ - ٥) وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن

كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (الرعد : ٢ – ٤) .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (النمل: ٦٠) .
وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (النحل : ١٠ – ١٢) .

فذكر تعالى ما خلق فى الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات

والحيوانات فى البرارى والقفار والبر والبحار ما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه وما سهل لكل دابة من الرزق الذي هى محتاجة إليه فى ليلها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومسائها كما قال تعالى : ﴿ وَمَا من دَابَّةٍ في الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ (هود : ٦) وقال تعالى : ﴿ وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام ٣٨) وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ (نوح : ١٥) وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الطلاق : ١٢) وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الفرقان : ٦١ - ٦٢) . وقال

تعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ (الصافات : ٦-١٠) . وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ (الحجر : ١٦- ١٨) وقال : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأنبياء : ٣٢- ٣٣) وقال تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يس: ٣٧- ٤٠) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الأنعام : ٩٧) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأعراف ٥٤) .

فالمقصود إنه تعالى يخبر عن خلق السموات وعظمة اتساعها وارتفاعها وإنها فى غاية الحسن والبهاء والكمال والسناء كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾ (الذاريات : ٧) أى الخلق الحسن وقال تعالى : ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الملك : ٣) أى خاسئا عن أن يرى فيها نقصا أو خللاً وهو حسير أى كليل ضعيف ولو نظر حتى يعى ويكل ويضعف لما اطلع على نقص فيها ولا عيب لأنه تعالى قد أحكم خلقها وزين الكواكب أفقها . كما قال : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

الْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾ (البروج : ١) أى النجوم . ومثل محال الحرس التي يرمى منها بالشهب لمسترقى السمع ولا منافاة بين القولين وقال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ ﴾ (الصافات : ٦ – ٨) وقال : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحجر : ١٦ – ١٧) قال البخارى فى كتاب بدء الخلق : وقال قتاده : ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ (فصلت: ١٢) خلق هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوماً للشيطاين وعلامات يهتدى بها فمن تأول بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به .

ولقد حكى ابن حزم وابن المنير وأبو الفرج ابن الجوزى وغير ذلك من العلماء الإجماع على أن السموات كرة مستديرة . واستدلوا على ذلك بقوله : كل فى فلك يسبحون قال الحسن يدورون . وقال ابن عباس فى فلكه مثل فلكة المغزل . قالوا ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع فى آخرها من المشرق .

فأما الحديث الذى رواه البخارى حيث قال : حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفينا عن الأعمش بن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ لأبى ذر حين غربت الشمس : تدرى أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال : فإنها تذهب حتي تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل فيها وتستأذن فلا يؤذن لها : يقال لها أرجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ (يس : ٣٨) وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الأَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ (يونس : ٥ – ٦) أى فاوت بين الشمس والقمر فى نورهما وفى شكلهما وفى وقتهما وفى سيرهما فجعل هذا ضياء وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء باهر القمر نور أى أضعف من برهان الشمس وجعله مستفادا من ضوئها وقدره منازل أى يطلع أول ليلة من الشهر صغيراً ضئيلاً قليل النور

لقربه من الشمس وقلة مقابلته لها فبقدر مقابلته لها يكون نوره ولهذا فى الليلة الثانية يكون أبعد منها بضعف ما كان فى الليلة الأولى فيكون نوره بضعف النور أول ليلة . ثم كلما مر ازداد نوره حتى يتكامل إبداره ليلة مقابلته إياها من المشرق وذلك ليلة أربع عشرة من الشهر ثم يشرع فى النقص لاقترابه لها من الجهة الأخرى إلى آخر الشهر فيستتر حتى يعود كما بدأ فى أول الشهر الثانى فيه تعرف الشهور وبالشمس تعرف الليالى والأيام وبذلك تعرف السنين ، والقمر يقطع فلكه فى شهر والشمس تقطع فلكها فى سنة وزحل يقطع فلكه فى ثلاثين سنة .

وقد كان اليونانيون الذين يسكنون الشام قبل زمن المسيح عليه السلام بدهور وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها أبواباً سبعة وجعلوا على رأس كل باب هيكلاً على صفة الكواكب السبعة . يعبدون كل واحد فى هيكله ، ويدعونه بدعاء يأثره عنهم غير واحد من أهل التواريخ وغيرهم وذكره صاحب السر المكتوم فى مخاطبة الشمس والقمر والنجوم وغيره من علماء الحرنانيين (فلاسفة حران فى قديم الزمان) . وقد كانوا مشركين

يعبدون الكواكب السبعة وهم طائفة من الصابئين (لهذا قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (فصلت : ٣٧) وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحج : ١٨) . والآيات فى ذلك كثيرة .

صدر حديثا

من مطبوعات المكتبة المحمودية

١- ٣٣ سبباً للخشوع فى الصلاة **محمد صالح المنجد**

٢- شرح الصدور بأسباب النجاة من عذاب القبور

على الطهطاوى

٣- العلاة بالرقى **سعيد القحطانى**

٤- الاخبار الدقيقة فى بدء الخليقة **بكر محمد ابراهيم**

٥- الفرج بعد الشدة **أبى بكر بن أبى الدينا**

٦- شرح الأربعين النووية **ابن دقيق العيد**

٧- حصن المسلم

٨- فاذكرونى اذكركم

٩- رسالة : الوضوء ولغسل الصلاة

١٠- كيفيه صلاة النبى

١١- المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج



دار البيان للطباعة
تليفون وفاكس : ٢٩٦٧١٨٨